الفصل الثالث

التثليث في المسيحية الحالية

ومناقشته

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

التثليث في المسيحية الحالية ومناقشته

فكرة التثليث

فكرة التثليث في المسيحية طارئة لا أصل لها في عهد المسيح ولا حوارييه، واسم ثالوث أيضًا لا وجود له في الكتاب المقدس لدى النصارى بل هو من توليفة الفكر الفلسفي الذي تبنى الثالوث في المسيحية. وفي ذلك يقول الكاتب المسيحي حبيب سعيد: (إن اسم ثالوث موضوع محدث كأن يسمى جبلاً أو بحيرةً أو بقعةً من الأرض باسم لم يكن لها من قبل، فحدوث الاسم لا يعني أن ذلك المكان محدث، والاسم العربي (ثالوث) معرب كلمة (ثرياس) اليونانية، أو كلمة (ترينتاس) اللاتينية، على أن كلمة (ثالوث) العربية لا تعبر تمام التعبير عن الكلمة اليونانية أو اللاتينية؛ لأن فيهما معنى وحدة ثلاثة أو تثليث بوحدة)[1]. والذي يؤخذ من هذا القول أن التثليث لا يعبر إلا عن فكرة طارئة للمسيحية وضع لها اسم مستحدث فيما بعد.

علام تقوم فكرة التثليث في المسيحية؟

وتقوم فكرة التثليث في المسيحية على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاث خواص وهي الأب والابن والروح القدس، وهذه الأقانيم الثلاثة هي الذات والنطق والحياة، (فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، حيّ بروحه، وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الإله تعطيه وصفًا معينًا أو مظهرًا خاصًا، فإذا تجلى الله بصفته ذاتا سمي الأب،

(١) انظر أديان العالم ص ٢٤١ حبيب سعيد.

وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس)[٢]. وفي النهاية يكون الأب والابن والروح القدس إلها واحداً وهو الله.

ونحن نرى بادئ ذي بدء أن وضع هذه القضية في معادلة رياضية أمر لا يقبله منطق العقل ولا يصدقه، وإن جلبت له الحيل من كل وجه. فالثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة. ومع هذا فتلك هي القضية التي يقر أصحابها بأنها بعيدة كل البعد عن فهم العقل وتصوره. يقول صاحب «رسالة التوحيد والتثليث»: (من الصعب علينا أن نحاول فهم هذا الأمر يريد التثليث ـ بعقولنا القاصرة كما قال الدكتور توراس لأن الله روح[٣]). والأعداد مبدئيًّا من خصائص العالم الطبيعي فتعرضنا صعوبة إذا حاولنا تصوير كائن روحي يصور الفكر الطبيعي، ثم استطرد قائلاً:

ومحاولتنا لشرح وحدانية الله المثلثة بشرح فلسفي هي محاولة وضع حقائق غير المحدود في صور وهيئآت فكر محدودة)[٤]. وهذا يعني أن فكرة التثليث التي أضيفت للإله الواحد لا تخضع لعقل، ولا يمكن أن يتصورها فكر، مما يؤدي إلى القول بأن الإله الواحد أصبح غير مفهوم في المسيحية، وهذا حق وصدق؛ لأن فكرة الثالوث صورت الإله الواحد في ثلاث صور أو ثلاثة أقانيم، وهذا التصوير لم يأمر به المسيح عليه السلام وكتبهم التي نقلنا عنها سابقًا لا تدعو إلا إلى تعقل الإله الواحد، أما تصوره فلا يجوز ويجب أن يعلم أن هناك فرق بين التعقل والتصور، فالتعقل: هو أن تؤمن بوجود إله واحد، كما أخبرت به الكتب، أما التصور: هو أن أتخيل هذه الوحدانية في أكثر من موضع، وأضفي إليها صفات من عندي،

(٢) الله واحد أم ثالوث؟ ص ٩، الأستاذ محمد مجدي مرجان.
(٣)وتقول للقائل ومن يجزم بأن الله روح؟ وإذا جزمنا فما الروح ؟.
(٤) رسالة التثليث والتوحيد ص٣ يسي منصور.

وهذا ما منعه الإسلام في قوله عن الإله الواحد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٥]. وقد كانت سقطة المسيحية بعد المسيح في أنها تصورت هذه الوحدانية في ثلاث صور أو ثلاثة أقانيم؛ ولذلك لم تستطع فهمها مهما أوتيت من الشروح والحيل. والسؤال الذي يحدوا أمامنا الآن هو:

لماذا قامت الفكرة على العدد ثلاثة فقط؟

ويبدو أن رئيس المجمع العام لكنائس الله الخمسينية القس صموئيل مشرقي غير راض عن هذا السؤال فيقول: (هذا السؤال لا يسأله عاقل؛ لأننا لا نعرف علل الأشياء جميعًا، وخاصة ما كان منها فوق الطبيعة، فكيف نتطاول إلى البحث في كنه ذات الله؟ والمعترض نفسه يقرر بأنه لا يدرك كنه الله)[٦].

وأقول: إذا افترضنا أنك أنت العاقل الوحيد بين البشر فمن ذا الذي أخبرك بأننا نريد البحث في كنه ذات الله؟ إننا كمسلمين لا نجرؤ على ذلك، بل الذي أقحم نفسه واجترأ على التنقيب داخل الذات الإلهية هو أنت ومن سار على نهجك، ومع ذلك فالسؤال المطروح هو عن العدد الذي ذكرتموه لا عن البحث في كنه الذات؛ لأن من يلقى على سمعه العدد ثلاثة لابد أن يتذكر غيرها، خاصة بعدما كانت المسيحية هي الوحيدة بين الأديان السماوية القائلة بأن الله ثلاثة؛ ولذلك لم ير صاحب كتاب «الله بين الفلسفة والمسيحية» مفرًّا من هذا السؤال الذي لابد من فرضه لكل من ينظر إلى التثليث في المسيحية، فأخذ يجيب عليه قائلاً: (إن العدد ثلاثة هو أول عدد فردي كامل بحيث لا يمكن لأقل منه أن تتوفر فيه خصائص الوحدانية الجامعة المانعة)[٧].

---

(٥) سورة الشورى الآية ١١.
(٦) كتاب الإلهيات ص ١٢٢، القس صموئيل مشرقي.
(٧) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ١٠٤، عوض سمعان.

ونقول إن هذا أمر غير مسلم به، فالثلاثة لا تتوفر فيها خصائص الوحدانية ولا تكون مانعة، بل تكون جامعة لغيرها، فلا تعرف الثلاثة إلا بأسبقية الاثنين، ولا نعرف الاثنين إلا بأسبقية الواحد، أما الواحد فلا يسبق بغيره. ومن ثم يؤدي بنا القول بالوحدانية فقط إلى اعتقاد الأزلية غير المسبوقة، بعكس الثلاثة فإنها تؤدي إلى تحول الذهن إلى سابق ومسبوق، وبذا يتضح أمامنا أن هذا العدد لا يليق أن يطلق على الله الواحد.

ولقد بذل الأستاذ عوض سمعان قصارى جهده لتثبيت هذا العدد في ذهن أتباع الثالوث فأخذ يقول: (إن الإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسة، والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسة، والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسة، وكذلك الله مكون من ثلاثة أقانيم)[٨]. وفي الدليل على أهمية العدد ثلاثة أخذ القس صموئيل مشرقي يورد الأمثال فيقول (إن الحبل المثلوث لا ينقطع وكل شيء بالثالوث يكمل، والمرة الثالثة ثابتة، ويعتبر هذا العدد ماركة مسجلة في الكون، طبعها الله في شتى النواحي لتدل عليه تعالى من ناحية ثالوثة، فالأبعاد ثلاثة، والزمن ثلاثة، والألوان الرئيسة ثلاثة، ومالك العالم ثلاثة، والإنسان ثلاثي التكوين. . . ولذلك كانت أول صورة تعينت فيها الذات ثلاثة، وأول حضرة إلهية ثلاثية. . . وفضلاً عن ذلك فإن عملية الخلق نفسها ثلاثية تقتضي وجود الذات والإرادة والقول كن)[٩]. وبذلك يكون العدد ثلاثة عند هؤلاء هو أنسب عدد يطلق على الله.

وأقول: إن هذه الأمور لا أساس لها من الصحة، بل هي ضرب من التخبط الفكري، ونوع من الإسفاف الذهني، وهي لا تصلح لإقناع العقل

(٨) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ١٠٤ عوض سمعان.
(٩) كتاب الإلهيات ص ١٢٢ القس صموئيل مشرقي.

بإجابة وافية للسؤال الذي نحن بصدده الآن. وإذا كان هؤلاء قد حاولوا في الإجابة عليه أن يديروا الأذهان إلى أمور أخرى كالحيوانات والنباتات والإنسان فان ذلك أمر مرفوض؛ إذ لا مقارنة ولا تشبيه بين الإله الخالق المتعالي وهذه الأمور، والتوراة التي يدينون بها قد منعت هذا التشبيه فقد جاء في سفر أشعياء: (بمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به)[١٠] هذة واحدة. أما الثانية فإن الادعاء بأن الحبل المثلث في قوته يدل على تثليث الإله؛ إذ إن الإله يكون قويًا بثالوث ادعاءٌ فاسدٌ؛ لأن الحبل المربع أو المخمس. . . إلخ أقوى مرارًا من الحبل المفرد والمثلث فلم اقتصر الأمر على هذا دون ذلك؟ أما القول بأن الإنسان مكون من ثلاثة أجزاء فقط ففيه مغالطة واضحة؛ إذ إن أجزاء الإنسان كثيرة ووفيرة، منها الرأس والعين والأذن والبطن والكبد والطحال. . . إلخ.

أما الادعاء بأن عملية الخلق ثلاثية فهي لا تحتاج إلا إلى ذات واردة وقول فقط، فهو ادعاء ناقص، فهي تحتاج بجوار الذات والإرادة والفعل إلى مادة وتدبير، ثم إبصار وقوة وحركة. . إلخ. إذن فليس عملية الخلق ثلاثية. وبناء عليه فالأقوال السابقة فضلا عن كونها غير دقيقة، إذ إن الواقع يكذبها، فهي لا تدل على أن العدد ثلاثة يدل على تثليث الإله الواحد، إذ لا دليل عليه. وسنقوم فيما بعد إن شاء الله بنقض فكرة الثالوث كلية في نهاية هذا الفصل، وإثبات وحدانية الله تعالى.

لماذا التسمية بالأب والابن والروح القدس؟

أي لماذا يطلق على الله الموجود لفظ الأب، وعلى الله الناطق لفظ الابن، وعلى الله الحي لفظ الروح القدس؟ هذه الأسئلة يحاول الإجابة

(١٠) أشعياء ٤٠/ ١٨.

عليها القس توفيق جيد في كتابه «سر الأزل» فيقول: (إن تسمية الثالوث باسم الأب والابن والروح القدس تعتبر أعماقًا إلهيةً وأسراراً سماويةً لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها أو نلصق بها أفكاراً من عندياتنا)[١١].

ولا أدري من الذي أخبره أن هذه الأسماء تعتبر من خصائص الذات الإلهية وأسرارها؟ هل يا ترى أخبر المسيح بذلك؟ أم أشار الحواريون من بعده إلى هذه الأسرار. إن الكتب المسيحية لا تخبر بهذا، بل إن رفقاء القس وإخوانه في عقيدة الثالوث لم يبالوا برأيه، وذهبوا إلى غير قوله فبدأوا يحللون هذه التسمية، ويفككون لغز الأسرار السماوية، ومن هؤلاء القمص إبراهيم إبراهيم الذي قال: (إن الذات والد للنطق، فيقال لها الروح القدس فالله الأب قائم بذاته ناطق بخاصية الابن الذي هو النطق، حي بخاصية الحياة التي هي روح القدس، والله الابن قائم بخاصية الذات الذي هو الأب ناطق بخاصيته هو، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس. والله الروح القدس قائم بخاصية الذات الذي هو الأب ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن حي بخاصية هو والتي هي الحياة هذا هو القول بالأب والابن والروح القدس)[١٢].

ومن خلال رأي القس توفيق جيد يتبين لنا أن هذه التسمية للذات الإلهية قررتها المسيحية دون تعرض لفهمها؛ لأنها من أسرار الذات الإلهية، أما رفيقة القمص إبراهيم فلم يعجبه هذا الرأي، وتجول بفكره مع هذه الأسماء قاصداً فك رموزها وإظهار حقيقتها، ومع ذلك فقد زاد الأمر غموضًا ولم يفهم منه شيء عن هذه التسمية. وكلا الرأيين لا قيمة لهما في

(١١) سر الأزل ٥٩ القس توفيق جيد.
(١٢) التثليث والتوحيد ص ١٥٦، ١٥٧، القمص إبراهيم إبراهيم.

نظر البحوث العلمية الصحيحة؛ لأن كليهما لا يمت إلى نص مقنع ولا برهان ساطع. وإن كان هؤلاء قد أخذوا الأسماء كما هي من بين سطور كتابهم المقدس ورتّبوها ثلاثيًا وأطلقوها على الله تعالى فهذا خطأ فاحش؛ فالله سبحانه لم يقل أبدًا أنا الأب والابن والروح القدس، والابن لم يقل أنا الأب، والروح القدس لم يقل أنا الابن وهكذا.

ونقول لهؤلاء: إذا كان الأمر متعلق بالذات الإلهيه فالذات هي التي تخبر عن ذاتها وأسمائها وتقول أنا كذا، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث فيه المولى سبحانه عن نفسه ويقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[١٣]. ثم يخبر سبحانه بأنه مالك الأكوان وعالم الأسرار؛ ولذا لم يكن البشر أن يعرف غيره أو يسمي نفسه باسمه، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[١٤]. وأمر جل في علاه ألا يدعوه أحد باسم الأب والابن والروح القدس بل بأسمائه الحسنى التي ذكرها في كتابه الصادق، قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٥]. وما كان للبشرية الفانية أن تخوض في معرفة الذات الإلهية لتبين حقيقتها وتشرح أسماءها؛ لأن العقل المتناهي لا يمكن أن يصل إلى معرفة اللامتناهي.

ما هي الأقانيم؟ وكيف يتصورها الفكر المسيحي؟

لفظة أقنوم أو أقانيم لا أثر لها في كتاب النصارى المقدس لديهم، ومن ثم نسأل من أين جاءت وكيف فهمت؟ يقول الكاتب المسيحي عوض سمعان: (إن الأقنوم أو القنوم كلمة سريانية يطلقها السريان على كل متميز عمن سواه على شرط أن يكون مما شخص وله ظل، ولذلك فإنه يراد بالأقنوم التعيين... وقد تعني أيضًا الانسجام في الفكر والشعور

(١٣) سورة طه آية ١٤.
(١٤) سورة مريم آية ٦٥.
(١٥) سورة الأعراف آية ١٨٠.

والصفات الطيبة)[١٦].

ومن هذا القول يتبين لنا أن لفظ أقنوم دخيل على المسيحية، وكان السريان يطلقونه على الشخص المعين ذي الصفات الطيبة، ولكن صاحب كتاب الإلهيات يقول: (إن تعريف الأقنوم بأنه شخص تعريفٌ ناقصٌ؛ لأن حقيقة معناه هو الشخص المتميز عن آخر، ولكنه متحد به، فهو إذن واحد بلا توحد)[١٧]. فهو بهذا يريد أقنومًا يتناسب وعقيدته؛ ولذا أخذ عوض سمعان يفرق بين المعنى الذي حددته الكلمة عند السريان وبين ما يريده هو فقال: (إن كلمة الأقانيم تختلف كل الإختلاف عن الأشخاص من ناحيتين:

الأولى: أن الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر، أما الأقانيم فهي ذات واحدة وهي ذات الله.

الثانية: أن الأشخاص وإن كانوا يشتركون في الطبيعة الواحدة إلا أنه ليس لأحدهم ذات خصائص أو صفات أو مميزات عن الآخر، أما الأقانيم فمع تميز أحدهم عن الآخر في الأقنومية هم واحد في الجوهر...)[١٨]. ويتضح من هذا القول بأن الكاتب المعبر عن عقيدة الثالوث لا يريد أن يعترف بأن الأقانيم أشخاص، علمًا بأنه هو الذي قال من قبل: إن كلمة أقنوم سريانية وتطلق على الشخص.

ولذلك نجد جورج اسكندر يوافق على أن الأقانيم لا تختلف عن الأشخاص فيقول:

---

(١٦) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ١٠٢، عوض سمعان.
(١٧) الإلهيات ص ١٣٣، القس صموئيل مشرقي.
(١٨) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ١٠٢، عوض سمعان.

إن الأقانيم معناها أشخاص يجمعهم ذات واحدة أو يشتركون في جوهر واحد، ومفردها أقنوم وهو أحد الأشخاص الذين يشتركون في جوهر اللاهوت)[١٩]. وهو يعني أن هذه الأقانيم التي هي أشخاص أطلقت على الله الواحد فجعلته ثلاثة أشخاص في شخص واحد.

وهذا بلا شك غير منطقي ولا مقبول، إذ إن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة. ولا يصح أن يقال إن الواحد يجمع الثلاثة ولا تميز؛ لأنه حينئذ لا يوجد إله بعدما علمنا أن هذا الواحد قد صلب ومات بيد اليهود، وليبحث من يدعي المسيحية له عن إله حي لا يموت.

ويقول صاحب «رسالة التثليث والتوحيد»: (إن الأقانيم ليست أسماء تطلق على الله، أو مجرد صفات ينعت بها ثلاث شخصيات غير منفصلة متساوية التصور بل شخص له أوصافه وخواصه، وإذا لم يفهم الثالوث على هذا الاعتبار تكون أسماء الابن والروح القدس لمسميات غير متحققة الوجود)[٢٠]. والملاحظ أن هذا الكاتب يريد أن يدعو قومه إلى معرفة الأقانيم حتى يفهم الثالوث، وهو في الحقيقة لا يستطيع فهمها هل هي أشخاص أم أسماء؟ والتخبط في فهمها أيضًا بات واضحًا عند عوض سمعان وجورج اسكندر اللذين نظر كل منهما إلى الأقانيم نظرة تخالف الآخر، وجاء هذا الكاتب يخالف كليهما، ومن ثم وقع الجميع في عدم الفهم ولزمتهم النتيجة التي توصل إليها يسي منصور وهي أن أسماء الأب والابن والروح القدس والتي يعتقد أنها ثلاثة في واحد وضعت لمسميات غير متحققة الوقوع إلا في ذهن أتباع الثالوث.

---

(١٩) الإله الذي نؤمن به ص ٤١، جورج اسكندر.

(٢٠) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٦ وما بعدها، القس يسي منصور.

هل يصح إطلاق اسم الأقنوم على الله تعالى؟

بعدما علمنا أن أتباع الثالوث لم يستطيعوا أن يصلوا إلى معنى يتفق عليه لحقيقة الأقنوم، ومع ذلك فالنصارى يطلقونه على الله علمًا بأنه مستعار من أهل الوثن، ولم يوجد في الكتاب المقدس، وهذا هو غاية التجرؤ على الذات الإلهية، ومع ذلك يقول قائلهم: (نحن لا ينبغي لنا التجرؤ على قول شيء في حق الألوهية سوى ما أعلن لنا بالوحي الإلهي). ويقول القديس توما الأكويني: (واسم الأقنوم لم يعلن لنا في الكتاب المقدس لا في العهد الجديد ولا العهد العتيق، فإذن ليس ينبغي استعماله في الله)[٢١].

وبهذا يتبين لنا أن القديس توما الاكويني لا يقبل إطلاق لفظ الأقنوم على الله، وحجته في ذلك أن الكتاب المقدس لم يعلن به ولا شك أنه دليل مقبول. ولكن هذا القول لا يقبله غيره من عشاق الأقنومية، فها هو القس صموئيل مشرقي يقول: (إن لفظة أقنوم مع كونها سريانية فإنها تحمل المعنى الحقيقي المناسب للتمييز بين أقانيم اللاهوت وبذلك صارت اصطلاحًا يطلق على كل من الأب والابن والروح القدس)[٢٢]. وهذا هو ما رآه ذلك القس. أما الأكويني فقد رأى أن هذا اللفظ الذي اعتمده أصحابه لا قيمة له، ولذا لا يصح إطلاقه على الله، وهذا هو ما جاء في كتاب «الخلاصة اللاهوتية»، نقلاً عن رجل يسمي بوسيوس[٢٣]: (يظهر أن اسم الأقنوم مأخوذ - يعني في اللاتينية - من تلك الأقانيم التي كانت تمثل بعض الناس في التمثيليات المضحكة والمفجعة (persona الأقنوم)، مقول

(٢١) كتاب الإلهيات ١٣٦، القس صموئيل مشرقي.

(٢٢) الخلاصة اللاهوتية ١ / ٢٧٣، توما الأكويني، ترجمة الخوري بولس عواد، مكتبة دير الآباء الدونوميكان تحت رقم ٢٢ - ١٢ - ١. الإلهيات ص ١٣٣، القس صموئيل مشرقي.

(٢٣) جاء ذكره هكذا وهو مجهول الشخصية ويقول عن نفسه: إنه تلميذ بولس الرسول، وكتبه هي الأسماء الإلهية، والمراتب السماوية، واللاهوت الصوفي.

من bersonare ـ أي دوي ـ إذ لابد لتموج الصوت أن يكون الصوت أعظم من التجويف. وأما اليونان فإنهم يسمون هذه الأقانيم (بروسيويا) لوضعها وهذا لا يمكن ملاءمته إلا على سبيل المجاز، فإذن ليس يقال الأقنوم على الله إلا مجازًا)[٢٤]. وبهذا يتضح لنا أن النصارى حينما استعاروا هذه الأقانيم من غيرهم لم يوفقوا في ذلك؛ لأنهم استعاروا ما يستهزئ به القوم من ألفاظ، ومع ذلك أطلقوها على الخالق سبحانه، ولقد أحس بهذا الحرج كثير من كتّاب النصارى، فحاولوا استبدال لفظ الأقانيم بلفظ صور أو تعينات أو ظهورات. يقول عوض سمعان: (إن الله ليس تعينا بل تعينات فذات الله تعينات... وهذه التعينات تسمى الأقانيم فالأقانيم هي تعينات اللاهوت)[٢٥].

وبهذا القول يتضح أمامنا محاولة هروب ظاهرة قام بها هذا الكاتب من اسم الأقنوم المضحك، ويبدو أيضًا أن الذي دفعه إلى هذا القول هو عدم اعتراف الكتاب المقدس بلفظ الأقنوم، ولكن هذا الهروب من الأقنومية لا يوافق عليه رئيس المجمع العام لكنائس الله الخمسينة. الذي يقول: (وجدير بالذكر أن نجد في مختلف العصور إلى وقتنا هذا من يحاول الهروب من لفظة (الأقانيم) بحجة أنها غير كتابية، ويجب استبدالها بغيرها مثل (تعينات) أو(صور) أو (ظهورات) رغم أن هذه الألفاظ هي الأخرى غير كتابية، وهذا الاستبدال الخطير يعني في حقيقة الأمر أن الأقانيم مجرد أشكال أو تجليات أو مظاهر لجوهر واحد، وهذه هي الوحدانية المطلقة تحت قناع المسيحية الزائفة)[٢٦]. وبهذا يعترف الكاتب بأن عدم الرضا باسم الأقانيم ليس وليد الساعة، بل وجد في مختلف العصور

(٢٤) الخلاصة اللاهوتية ص ٣٧٤ توما الأكويني.
(٢٥) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ٩٧، ٩٨، عوض سمعان.
(٢٦) كتاب الإلهيات ص ١٣٥، صموئيل مشرقي.

ثم يصرح قائلاً بأن كل الألفاظ التي وضعت الله تعالى سواء أقانيم أم ظهورات أم تعينات ليست من وحي الكتاب المقدس. ونقول له إذا كان الأمر كذلك فلمَ الاعتراض إذاً على من يدعي هذه أو تلك؟ وما دليلك أنت على شرعية الأقانيم دون غيرها؟ إنك لا تملك نصًا واحداً يقوّي دعواك، وأنت الذي تتبوأ مكانة عالية في الكنائس المسيحية، وكل الذي ادعيته أن هذه الألفاظ التي استبدلت بها الأقانيم وجدت تحت قناع المسيحية المزيفة، فأين إذًا المسيحية الصحيحة التي تؤمنون بها اليوم؟ وإذا وجدتْ بالفعل فهل هي قائمة على نص كتابي أم لا؟. إن كانت غير قائمة على نص كتابي فلا يصلح لديانة تنسب إلى السماء أن تؤسس على غير النصوص الكتابية وإلا فما الدليل على كونها سماوية؟ وإن كانت قائمة على نص كتابي فأين هو ذلك الكتاب، وأين هذا النص الذي ذكرت به الأقانيم أو غيرها؟نبئونا بعلم إن كنتم صادقين؟ والخلاصة أن هذه الأقانيم وغيرها من ألفاظ الظهورات أو التعينات إلخ، والتي يتشاجر عليها المسيحيون عبر العصور لا يوجد عليها دليل عندهم. ومن ثم فالقرآن الكريم قد لفظها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ولم يطلقها على الله تعالى، ولكن عنه قال ـ وما أعظم ما قال! ـ في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٧]. فهل يصح أن يغفل هؤلاء عن هذه الأسماء العذبة التي أطلقها الرحمن على ذاته، ويبحثوا له عن أسماء لا دليل عليها ولا برهان، بل هي في الحقيقة من وضع السريان.

---

(٢٧) سورة الحشر ٢٣، ٢٤.

الثالوث الأقنومي كعقيدة في المسيحية:

والواضح في الكتاب المقدس لديهم وضوح الشمس في عليائها هو آيات التوحيد. وقد عقدنا لهذه الآيات فصلاً وبيّنّا أن التوحيد هو أساس العقيدة في المسيحية، ومع ذلك فقد ألقى أهل الثالوث ظلالاً من الشك على هذه الآيات، وأخذوا ينادون بالتثليث حتى أصبح الإيمان به عقيدة لدى المسيحية المتأخرة، وكل من لا يؤمن بهذا الثالوث في نظرها مستحق اللعنة في الدنيا والآخرة، ومحروم من دخول الفردوس، ومع أن هذا الثالوث غير مفهوم لدى العقل المسيحي إلا أن كل مسيحي عليه الاعتقاد به كسرٍّ من أسرار الأزل يقول صاحب كتاب «سر الأزل»: (إن الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسرِّ الأزل، سرِّ الثالوث الأقدس، إن كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملكوت السموات هي سر الأزل، سر الثالوث الأقدس، هذا الاسم اسم الأب والابن والروح القدس ينبغي أن يوضع على كل من يلج باب الملكوت، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جنبيه كل داخل إلى ملكوت السموات سمة الثالوث)[٢٨]. وبهذا القول يريد الكاتب أن يقول بأن عقيدة الثالوث هي مفتاح باب الملكوت، وكل من لا يؤمن بسرِّها لا يلج هذا الباب، ولا أدري من الذي أوقفه حارسًا على باب الملكوت، ومَن نفس في روعه وأخبره بأن سر النجاة في الثالوث الذي ولد في المسيحية بعد سنة ٣٢٥م على يد أهل الأوثان؟ وماذا يقول الكاتب الألمعي عن الذين لم يجرّوا على ألسنتهم مقولة التثليث؟ بل ماذا يقول عن حواريي المسيح وعن أنبياء التوراة الذين لم يؤمنوا بهذا الثالوث ولم يشيروا إليه مرة ولو بحرف واحد؟ هل هؤلاء سيدخلون الملكوت أم سيظلون على بابه ينتظرون من يُدخلهم؟!

(٢٨) سر الأزل ص ٥١، توفيق جيد.

إن هذه العقيدة في حقيقتها لا صلة لها بالله ولا يصح أن تنسب لأديان السماء، ومع ذلك فقد توطن البطر في قلوب هؤلاء حتي قال القس يسي منصور: (إن الثالوث الأقدس هو دعامة إيمان المسيحيين، وهو في شرعهم وعرفهم أشهر من نار على علم، وصلتهم به صلة الجسد بالروح، وصلة العين بالنور)[٢٩]. ولكن من حقنا أن نسأل: لماذا كانت هذه العلاقة القوية بين المسيحيين وهذه العقيدة؟ ونرى الإجابة عند القس توفيق جيد الذي يقول عنها: (لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه فمعرفتها هي معرفة الله، والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله)[٣٠]. وهو بهذا يريد أن يقول: إن الإيمان الكامل لا يكون إلا بالثالوث ومن لا يؤمن به في نظره فإنه ينكر الله رب العالمين.

وأقول: كان عليك حينئذ أن تقوم أنت وأمثالك بشرح هذا الثالوث الذي يتوقف عليه الإيمان بالله رب العالمين حتى لا يظل قومك في جهل بما يؤمنون، ولا أرى أحداً من أتباع الثالوث في إمكانه أن يتولى مهمة الشرح هذه، وذلك لغموض هذا الأمر لدى أكابرهم قبل بسطائهم، وبهذا يصرح القس يسي منصور قائلاً: (إنه من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر ـ يعني الثالوث ـ بعقولنا القاصرة)[٣١]. إذن فهو عندهم فوق العقل، ولكني أرى أنه ليس فوق العقل، بل هو من محالات العقل، ولا يمكن استساغته البتة. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:

هل حقاً في الله ثالوث؟

في الحقيقة أرى أن الكثير من القساوسة كعادتهم سيقولون بالإيجاب،

(٢٩) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٧، يسي منصور.
(٣٠) سر الأزل ص٧، توفيق جيد.
(٣١) التثليث والتوحيد ص٣٢، القس يسي منصور.

علما بأنه لا يوجد في جعبتهم على هذا القول بيِّنة أو برهان، والقديس توما الأكويني يرى غير ما يرى هؤلاء جميعًا فيقول: (يظهر أنه ليس في الله ثالوث؛ لأن كل اسم في الله فإنه يدل إما على الجوهر أو على الإضافة، واسم الثالوث لا يدل على الجوهر وإلا لصدق على كل أقنوم، ولا على الإضافة؛ لأنه لا يقال بحسب اللفظ بالقياس إلى الغير، فإذن ليس ينبغي استعمال اسم الثالوث في الله)[٣٢]. وبهذا يتبين لنا أن اسم الثالوث لا يصح أن يطلق على الله باعتراف أكبر القسيسين عندهم. ولقد ساق الأكويني أدلة وفيرة في تأييد قوله الذي ينافي العقيدة الثالوثية في الله، منها قوله: (إن الثالوث اسم جمع فيما يظهر؛ لدلالته على كثرة، واسم الجمع لا يلائم في الله؛ لأن الوحدة المدلول عليها باسم الجمع هي الوحدة السفلى والتي في الله هي الوحدة العظمى فإذاً اسم الثالوث ليس ملائمًا لله)[٣٣]، ثم انبرى قائلاً: (إن كل مثلث ذو أضعاف ثلاثة والله ليس فيه تضعيف ثلاثي؛ لأن التضعيف الثلاثي نوع للامساواة فإذن ليس في الله ثالوث)، ثم ختم حديثه قائلاً: (إن كل ما في الله فهو في وحدة الذات الإلهية؛ لأن الله هو عين ذاته، فلو كان في الله ثالوث لكان ذلك في وحدة الذات الإلهية، فكان الله ثلاث وحدات ذاتية. وهذا بدعة)[٣٤].

وبهذه الأقوال يدمر القسيس توما الأكويني عقيدة الثالوث، وينفي أن يكون الله ثالوث، وما كان ذلك كذلك إلا حالة أن فك ذلك القديس الحزام الحديدي الذي ربطه أهل الثالوث حول عقله. ومن ثم يتبين لنا أن هذه العقيدة الثالوثية في الله إذا ما ناقشها أصحابها بمنطقية وتعقل لا يمكن أن

(٣٢)الخلاصة اللاهوتية ص٣٨٩، القديس توما الأكويني.
(٣٣)الخلاصة اللاهوتية ص٣٨٩.
(٣٤)الخلاصة اللاهوتية ص٣٨٩.

يسلموا بصحتها أو يدعوا أن في الله تعالى ثالوث موحد، بل هو سبحانه واحد في ذاته وصفاته وأقواله، إلخ. تعالى الله سبحانه عما يقولون علواً كبيراً.

محاولات مسيحية للجمع بين عقيدة التوحيد ومقولة التثليث:

ولما كان التوحيد هو أساس المسيحية، والتثليث دخيل عليها لم يكن للعقل المسيحي مقدرة على نبذ عقيدة التوحيد التي أرسى قواعدها رسول الله عيسى عليه السلام ولذلك توقع الكثيرون من فلاسفة المسيحية الثالوثية ميلاد أسئلة غير قليلة عن أسباب القول بالتثليث بجوار التوحيد، الأمر الذي يودي بهذا الثالوث من عقول الكثيرين، ويرجع بهم إلى ربوع العقيدة التوحيدية الخالصة، ومن ثم بذل أصحاب الثالوث محاولات يائسة للجمع بين التوحيد والتثليث، وها هو صاحب كتاب «يسوع المسيح» يطرح على نفسه سؤالاً فيقول: (من الناس من يقولون لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم؟ أوليس من الأفضل أن يقال إله واحد فحسب؟ ثم يجيب قائلاً: لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، ولكن الله محبة، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً، فالمحبة هي مصدر السعادة، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء و انتشار النور، فهي إذاً تفترض شخصين على الأقل فيتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، ثم استطرد قائلاً: ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته، وبادل الابن الأب هذه المحبة، وكانت ثمرة المبادلة الروح القدس، فالحب إذن يجعل الله ثالوثًا وواحدًا معًا)[٣٥]. وبناء على هذا الرأي تكون المحبة هي السبب في الجمع بين الوحدانية والثالوث في الله تعالى.

(٣٥) يسوع المسيح ص ٧٦، ٧٧ القس بولس الياس.

ولمناقشة هذا الادعاء **أقول**: إن هذه محاولة شائكة قام بها هذا القس فهو يدعي أنه وصل إلى هذه النتيجة بعدما اطلع على كنه الله تعالى وحقيقته، وهذه وحدها هي بداية المهالك، والتأمل في ماهية الله هو أول الطرق إلى التيه الذي لا يرجى لسالكه رجعة، والتأمل في ماهية الله مضلة و معثرة للعقول. أما القول بأن الله وَلَدَ ولداً ليبادله المحبة لا دليل عليه، فضلا عن كونه يقع تحت أسئلة طائلة لا إجابة عليها عند هذا القس الذكي، فمثلاً نسأله كيف ولد الابن ومن تكون أمه؟ ثم ما هي الثمرة التي توقفت عندها المحبة؟ هل هي الروح القدس؟ وإذا كان كذلك فلما توقفت عندها دون غيرها؟ وما يدريك أيها القس بأن هذه المحبة قد تزداد من الأب مع الابن وتنتج ثمرة أخرى غير الروح القدس؟ وقد تزداد مرة أخرى فتنتج عقب هذه الثمرة ثمرات وهكذا دواليك حتى يكثر في الكون عدد الآلهة بحيث لا تعد ولا تحصى نتيجة لهذه المحبة المتبادلة بين الابن وأبيه.

وكنا نظن أن هذه المحاولة اليائسة للجمع بين الوحدانية والثالوث قد توقفت عند هذا القس إلا أننا رأينا صاحب كتاب «سر الأزل» يصيح بنفس عبارة القس السالفة تقريبًا فيقول: (إن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله في الأزل بدون موضوع للمحبة، فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه، وبعبارة أخرى بدون الثالوث . . . ولا يبقى لله في أزليته سوى ذاته ليحبها، وتنزيها لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهي نحو الأقنوم الآخر)[٣٦].

وأقول: إن هذا ليس تنزيهاً للذات، بل هو تجديف في حق الذات، وعدم فهم لما تدعي، فلو تأملت في عبارتك القائلة: فقد وجد الثالوث

(٣٦) سر الأزل ص ١٧ ، توفيق جيد.

حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهي نحو الأقنوم الآخر لرأيت كيف تدخلت بفكرك في شؤون الله تعالى، وكيف حددت محبة الله، وكيف قصرتها على الأقنوم الآخر فحسب، ومن ثم فبقية خلق الله لا نصيب لهم من هذه المحبة، وعليها فلتبقى حياة الخلائق تحت ظلام الكره والبغضاء إلى أن يحين وقت تتجلى فيه هذه المحبة عليهم. ثم دعنا نسأل ما هو الأقنوم الثاني الذي تتحدث عنه؟ هل هو عين الأول أم غيره؟ إذا كان عينه فلمن إذن ستتجه المحبة؟ وما الداعي إلى قولك ستتجه؟ وإن كان غيره فإذن هو إله آخر مغاير تمام المغايرة عن الأول، وكان في وقت ما يعيش في كره لا انقطاع له حتى اتجهت إليه المحبة. إن هذه الأقوال التي ترددونها هي أقوال الفلاسفة لا الأنبياء، واسمع إلى أفلاطون وهو يقول: (إن كان هناك إله واحد ففيم يفكر؛ لأننا نفترض أنه كائن عاقل، وكل كائن عاقل يفكر في شيء ما . . . وإن كان هناك إله واحد فمن يكون موضع حبه، والمحبة من مقومات السعادة والغبطة)[٣٧].

ولا أظن أن أفلاطون الذي أراك تردد قوله أنه كان في يوم ما يحاول أن يجمع بين الثالوث والتوحيد في الذات الإلهية؛ لأن التوحيد عقيدة سهلة ميسرة لا التواء فيها ولا تعقيد، والغريب البعيد عن دائرة الحقيقة هو ما سطّره صاحب كتاب «ميزان الحق» في محاولة له للجمع بين التوحيد والتثليث جاء فيه: (إن الإيمان بالتثليث فيه حل المعضلات الكثيرة التي يعترض بها على الوحدانية المحضة مثل: كيف يكون الله هو الكافي الصمد والمتكلم والغني والودود من قبل أن يكون كائن سواه؟ لأن كل هذه

(٣٧) أديان العالم ص٣١٣، حبيب سعيد دار الجبل للطباعة الفجالة.

الصفات وما شاكلها لا يمكن التعليل عنها إلا بتعدد الأقانيم الإلهية مع توحيد الذات) [٣٨] .

ويريد صاحب هذه السطور أن يقول إن معنى كونه غني لابد من وجود فقراء، ومعنى كونه ودود لابد من وجود من يبادله هذا الود ، وكونه متكلم لابد من وجود من يكلمه، وهذا من وجهة نظره يتطلب تعدد الأقانيم وتكون هي الطرف الآخر، وبذا يكون ثالوث النصارى قد فك هذه المعضلات . **و أقول للكاتب:** إن هذه أمور ثابتة مع الذات لا تنفك عنها، والصفة لا تتغير ولا تتبدل، والله كان متكلمًا قديمًا ومازال وسيكون، وهذا لا يتطلب أن يوجد من يكلمه أو يتودد إليه أو يفقره . . . إلخ، ولم نر واحدًا قبل أهل الثالوث قال مثل قولهم بأن البشر جميعًا إن استثنى هؤلاء يوقنون بأن كلام الله وبقية صفاته تخالف كلامنا وبقية صفاتنا، ويعلمون أن صفات الله هي عين ذاته، وما بالذات لا يتغير، وعلى فرض أن هذه الصفات التي أوردها الكاتب تستدعي ما تتعلق به أزلاً (فإن ذلك التعلق ـ كما يقول صاحب كتاب «أدلة اليقين» ـ لا يعقل إلا إذا كان ممكنًا، وأن الله مؤثر فيه الإيجاد حتمًا، وبالتالي يكون محتاجًا إليه، فكيف يستدل بذلك على أن الأقانيم متساوية أزلا؟) [٣٩] . ويبدو أن هذا التبرير الذي أورده صاحب «ميزان الحق» لم يرق للفيلسوفين «بوهمي و سانتيلا» فأتيا بتبرير آخر يحاولان من خلاله إقناع العقول بالجمع بين التوحيد والتثليث في الذات الإلهية، فأخذ بوهمي يقول: (لابد أن يكون الله منطويًا على كثرة، إذ كيف يمكن تفسير الكثرة الموجودة في العالم بالوحدة المطلقة؟ ثم يشرح سانتيلا هذا الرأي قائلاً: إن الأمر لا يخلو من أحد حالين؛ إما أن يقال: إن

(٣٨) ميزان الحق ص ٢٤٦، د . فانور الطائر، المطبعة الإنجليزية، ش المناخ بمصر ١٩١٥ .
(٣٩) انظر أدلة اليقين ص ٢٢٤، عبد الرحمن الجزيري .

الكثرة موجودة في ذات الأول المحض، وإما أن يقال: إن الكثرة لم يكن لها أثر، ولا رسم في ذات الله، وكيف يتصور حينئذ أن يكون علة للكثرة؟)[٤٠]. وهذان الفيلسوفان في سبيل تبرير الوحدة والثالوث حاولا أن يثبتا بأن كل شيء وجد في الكون كانت بذوره في داخل الله، فالشجرة بذرتها كانت موجودة منذ الأزل في الله، وصور هذه الموجودات جميعها بكواكبها ونجومها وأنهارها وأشجارها كانت كذلك وإلا لما أمكن للخالق إيجادها. وبناء على هذا القول الغريب والمنطق العجيب **يمكننا القول** بأن جهاز التلفاز بقنواته المختلفة وتركيباته العجيبة لم تكن فكرته هي الموجودة في قلب صانعه قبل إيجاده، بل كانت شتى أدواته المختلفة من أدوات خشبية وحديدية وأسلاك كهربائية موجودة في قلب الصانع قبل إيجاده، وما عليه إلا أن يقوم باستخراجها وتجميعها فيخرج منها هذا الجهاز المنظور، وكذا الأمر بالنسبة لهذه العمارة الشاهقة والبرج المرتفع والقطار ذي العربات المتنوعة والمقاعد المتعددة فقد كانت أدواتهم موجودة في قلب المهندس قبل إيجادها وهلم جرا، والحقيقة أن الكثرة في هذا الكون البديع بنظامه الدقيق وتنسيقه العجيب لا تدل من قريب أو بعيد على وجود كثرة في الإله الخالق، بل تؤكد أحاديته وهيمنته المنفردة على هذا الكون.

أمثلة أخرى متنوعة:

ولم يكتف أصحاب هذه الفلسفات الفارغة بمنطقهم الغريب الذي أرادوا به إرساء عقيدتهم الثالوثية في الآذان، بل أخذوا يتجولون في الكون ويشبهون خالق الكون بأضعف مخلوقاته، فشبهوا الله تارة بالإنسان قائلين: (وكما أن النفس والعقل والإرادة في الإنسان تجعل منه إنسانًا

(٤٠) الله واحد أم ثالوث؟ ص٢٠، ٢١.

واحداً فكذلك تتألف ذات الله من أقانيم ثلاثة وهو إله واحد)[٤١]، ووصل الأمر بالقس يسي منصور إلى أن يقول : (إننا لا يمكن أن نفهم الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية)[٤٢]، ولكن حبيب سعيد لم يقف في تصوره لذات الإله على الصورة البشرية بل صوره بزوايا المثلث قائلاً : (إن هذه الزوايا الثلاث في المثلث لا تجعل منه سوى واحد، فكذا الأقانيم لا تجعل من الله إلا واحداً، وكما أن الحرارة والقوة والنور في الشمس لا تجعل منها شموساً ثلاثة بل واحداً، والماء والهواء والبخار كلها مظاهر لمادة واحدة، فكذا الأقانيم)[٤٣]، واسترسل بعضهم قائلاً: إن التفاحة تتكون من طعم ولون ورائحة وثلاثتها تكون ذاتًا واحدةً هي التفاحة والشجرة من جذر وساق وثمرة، وثلاثتها تكون جسمًا واحداً فكذلك الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وقد نسي هؤلاء المشبهون أن ما شبهوا به إلههم قد يتكون من أكثر من ثلاثة فما تزيده في المشبه نجده زائداً في المشبه به، أو بمعنى آخر: هل نقول إن الله مكون من خمسة أقانيم لأن التفاحة مثلا وهي أحد ما شبهوا به الله مكونة من خمسة عناصر هي: الطعم ويحس بالذوق، والرائحة وتحس بالشم. واللون بالبصر، والمس باللمس والذات الجامعة وهكذا دواليك سبحان ربك رب العزة عما يصفون)[٤٤].

وظائف الألوهية بين الثالوث الأقنومي في المسيحية :-

وبعد أن قسم دعاة الثالوث إلههم إلى ثلاثة أجزاء وبينوا السر في هذا التقسيم أخذوا يضعون لكل واحد من هذه الثلاثة عمله الخاص به؛

(٤١) أديان العالم ص ٣١٩، حبيب سعيد.
(٤٢) التثليث والتوحيد ص ١٥٨، يسي منصور.
(٤٣) أديان العالم ص ٣١٨، ٣١٩ حبيب سعيد.
(٤٤) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، د. هاشم جودة.

فجعلوا الله الأب مصدراً للعدل والخلق والتبني، وجعلوا الابن مصدراً للرحمة والفداء وغفران الخطايا، وجعلوا الروح القدس مصدراً للنهضة ومخ الميلاد الثاني والحياة الطاهرة وتقديس النفوس. فمن يرد العدل فليتجه إلى الأب، ومن يتبع الرحمة أو يرجوا المغفرة فليتوسل إلى الابن، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس. هكذا وزَّعوا الأعمال والاختصاصات والوظائف على الأقانيم الثلاثة) [٤٥]. والناظر لهذه الأمور التي وزعها أهل الثالوث على الأقانيم يتذكر في لمح البصر القضية القائلة أليس الله واحداً لا شريك له؟ والحقيقة أن هؤلاء يوافقونا في الجواب الذي يتطلبه السؤال، وحينئذ نطرح القضية أمامنا وأمامهم قائلين: ما هي وحدانية الله أهي وحدانية مغلقة لا عمل لها؟ أم وحدانية مطلقة جامعة تدبر وتنظم وتخلق؟ لاشك أن الذي يليق بمقام الألوهية هو الفرض الثاني.

وهنا يفرض سؤال على أهل الثالوث.

من الذي خلق الكون ونظمه؟

والإجابة عند هؤلاء لن تكون خالصة لله وحده، فالله في هذا التصور المسيحي الثالوثي ليس ذاتًا واحدةً باعتبار واحد، والله الأب ليس هو الله وحده عندهم، ومن ثم فالله لابد أن يكون أبًا وابنًا وروح قدس في ذات واحدة، والذات هذه هي التي تتحرك وتتفاعل وتتسامر؛ لذلك يقول صاحب كتاب «موجز الاعتقاد في وحدانية الإله» في الإجابة على هذا السؤال المطروح: (إن الله هو الخالق، ولكن بالإرادة، وهو الأب، فإذا كان الأب قد أراد خلق العالم فإن الابن هو الذي قام بعملية الخلق، والروح القدس هو الذي بث الحياة في المادة)[٤٦]. وبناءً عليه فالأب ليس عنده

(٤٥) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ١٥١ دكتور هاشم جودة. مطبعة الأمانة.

(٤٦) موجز الاعتقاد في وحدانية الإله ص ٤٤ الأنبا غريغوريوس.

شيء سوى الإرادة، ويحتاج إلى من ينفذ إرادته، ومن ثم يتطلع إلى الابن، والابن هو المهندس الذي ينفذ عملية الخلق، ويأتي دور الروح القدس كمساعد للمهندس المنفذ، ويبدو أنه دور ضئيل؛ لأن الذي يقوم بعملية الخلق في استطاعته أن يثبت الحياة ويحرك ما قام به، وإلا فلا داعي لوجوده، ونرى حينئذ أنفسنا أمام ابن وروح قدس أحدهما يكفي وجوده ويستغني عن الأخر، ويبدو أن صاحب كتاب «الإلهيات» غير راض عن القول بأن وجود أحد الأقانيم يغني عن الآخر فأخذ يقول: (لا فالخلق مثلا منسوب للأب، ولكن الابن والروح القدس مشتركان فيه. ثم يقول: إنهم متوحدون في الإرادة والقول ولذا فأعمالهم الإلهية مشتركة . . . فما يعمله أحد الأقانيم يحسب للأقانيم الثلاثة) (٤٧).

وأقول: إنكم قلتم إن الأب هو الذي أراد. إذن فقد حددتم. والقوة لا تكون للمريد الساكت عن العمل، فإذا عمل فهو قوي، وأنتم تدعون أن الذي قام بالعمل هو الابن، ومع أن العمل هو الفعل ولا فرق، فقد أسندتم اسم الفعل للروح القدس. وكما أشرنا أن هذا تحصيل حاصل لا داعي لصاحب هذا الفعل ووجوده، إذن فنحن لم نحدد، بل أنتم الذين حددتم وقررتم، وبناء على هذا التحديد الذي ارتضيتموه نقول: إن قولكم فيما يعمله أحد الأقانيم يحسب للأقانيم الثلاثة فيه تضييع للحقوق، ولو قلتم ذلك القول في المجتمع الإنساني المعاصر الذي يطلب مزيداً من الانتاج لرُفض بدون مناقشة، فلا تقبل السلطات أن يستوي العامل، وغير العامل ولو كان الأمر كذلك لتوقفت حركة الحياة، ولنام الناس في بيوتهم بسبب ضياع الحقوق، وإذا كان الناس لا يقبلون ذلك، فهل يقبل الأب عندكم أن يهضم حق الابن وهل يقبل الابن؟ أن يهضم حق الروح القدس؟ هل يصح

(٤٧) الإلهيات ص ١٤٠، القس صموئيل مشرقي.

يا أهل الثالوث أن تتهموا الله العدل بالظلم والطغيان؟ ومع من؟ مع أفضل محبوب لديه: ابنه على حد زعمكم.

هذا الابن الذي حمَّلتموه فوق طاقته من وظائف ينوء عن حملها الأب، وبهذا صرح صاحب كتاب «التثليث والتوحيد عندكم» قائلاً: (إن الأب لم يتجسد، ولكن الابن تجسد، و الأب لم يصلب، ولكن الابن صلب والأب لم يقم بدور الوسيط - أي الفادي -، والابن قام بدور الوسيط)[٤٨]. إذن فالابن يتجسد ويصلب ويقوم بدور الوسيط فضلاً عن خلق العالم، والأب لا يتجسد ولا يصلب ولا يتوسط [٤٩] ولا يخلق العالم.

تلك هي نظرة المسيحية لما يقوم به ثالوثهم الإلهي من وظائف وأعمال، وأقل ما يمكن أن توصف به أنها خرافة.

ولنأت الآن لمناقشة هذا الثالوث المزعوم كلية بعد أن عرضنا أقوال أصحابه فيه.

مناقشة ونقد

إن عقيدة الثالوث التي قدمها النصارى للمجتمع الإنساني لعجيبة و غريبة، وتبدو غرابتها واضحة جلية عند عرضها على صفحة العقل الذي ميز به الجنس البشري عن سائر المخلوقات قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا**

---

(٤٨) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٧٩، عوض سمعان.

(٤٩) حينما تعرضنا لمناقشة أدلة القوم على ألوهية المسيح أشرنا إلى هذه الأمور، أعني التجسد والفداء والصلب، ولا داعي لمناقشتها هنا حتى لا نقع في التكرار.

تَفْضِيلاً﴾ (٥٠). ولكن النصارى يرون أن التثليث لا يعالج بمنطق العقل، ولكن بالإيمان والوجدان. وهذا هروب من النصارى من بداية الطريق، فلا بأس أن نعتمد على الإيمان القلبي في قضية ما من القضايا الغيبية، ولكن بشرط ألا يحكم العقل فيها حكمًا بديهيًا أوليًا باستحالتها وتناقضها. وإذا كان النصارى يقولون بأن التثليث يصعب تصوره على العقل. فإننا نقول: لا، بل يستحيل تصوره لدى العقل، ومن أول جولة معه يخرجه بجذوره ويلقي به في دائرة اللامعقول. ومن الملفت للنظر أن هؤلاء يتعللون بالإلهام العيسوي أو اليسوعي في كثير من كتبهم، ولكننا نقول: مهما بالغتم في هذا التعليل فإن التثليث سيبقى مرًا في حلوق العقلاء، مهما اختلفت بهم اتجاهاتهم العقيدية. أيُّ إلهام هذا الذي يقلب بداهة العقول رأسًا على عقب؟ وأيُّ إلهام هذا الذي يريد أن يحول العقل إلى قطعة حجرية صماء لا حول لها ولا قوة؟ هذا العقل قبس العلم الإلهي وشعاع الحكمة الإلهية لا يمكن أن يطمس ضوؤه أبدًا. وعلى ضوئه سنناقش قضية الثالوث.

ومناقشتنا ستنحصر في قضيتين:

الأولى: الاختلاف الذي يمكن أن يقع بين الأقانيم بالنسبة لأعمال الألوهية.

والثانية: استحالة الجمع بين الوحدانية والتثليث.

القضية الأولى:

وأول ما يطالعنا في هذه القضية الهامة هو فرض وجود ثلاثة أقانيم إلهية أزلية، أخذت على عاتقها عبء العمل الثقيل في هذا الكون الفسيح.

---

(٥٠) سورة الإسراء آية ٧٠.

والملاحظ أن أهل الثالوث يخصون كل أقنوم بعمل معين، كما يقول الدكتور يوسف بوست: (فإلى الأب ينتمي الخلق بوساطة الابن، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير)[٥١]. ويعلل عوض سمعان لهذه الأعمال قائلاً: (إنها أمور تقتضيها كمالات الوحدانية الجامعة التي يتصف بها الله)[٥٢]. ولكننا نقول لهؤلاء: أرجو أن تفسحوا لنا عقولكم لحظة واحدة لطرح هذه الأسئلة التي نوقن بأنها تنحسر في خلدكم قبل طرحها، ولكنها محرومة الخروج:

ما الحكم لو أن أحد الأقانيم مثلاً كالأب صدر حكمه وهو العدل بين طائفة ما من خلقه، وجاء الابن وهو الأقنوم الثاني فأصدر حكمًا بالعفو والرحمة على نفس تلك الطائفة؟ فإن نفذ حكم الأول دون الثاني فهو الإله، وإن حجب الثاني حكمُ الأول كان الثاني هو الإله، وتُرفَض ألوهية الأول.

وإن اتفقا على أن ينفذ العدل والرحمة معًا في نفس الطائفة أدى ذلك إلى التناقض، ولاسيما إذا كان العدل يقضي بالقسوة، والعفو يرفع تلك القسوة. وتظهر على السطح معالم الظلم الذي تتحمله تلك الطائفة؛ لأنها ستقع تحت تأثير حكمين في آن واحد ومن جهة واحدة، والظلم لا يقع من إله. وإن اتفقا على أن كل واحد منهما يختص بطائفة من الخلق ينفذ فيها حكمه حينئذ تتحدد قدرته ومملكته وحرمان كل واحد منهما مما اختص به الآخر، وهذا لا يقبله منطق العقل.

---

(٥١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٦، د. يوسف بوست.
(٥٢) الله ذاته ونوع وحدانيته ١٢٣، عوض سمعان.

ثم ماذا عن الكون؟

هل اتفقت أقانيمهم الثلاثة على خلقه أم اختلفت؟

أولاً: (أ) إن وقع الاتفاق بينهم فمعنى هذا أن كل واحد منهم محتاج للآخر، وكل واحد منهم غير مستقل بالخلق، وهذا ينبئ عن العجز، والعجز من صفات البشر، أما الإله فلا يمكن أن يكون عاجزًا أو متوقفًا في قدرته على شيء.

(ب) وإن افترضنا أن الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد تقاسمت حقًا فالأب مثلاً تولى خلق السماوات، والابن تولى خلق الأرضين، والروح القدس تولى خلق بقية الكون وتسيير حركته، فمعنى هذا أن لكل منهم سلطة معينة وحركة مقدّرة، والإله لا بد أن يكون حرًا في سلطته وقدرته.

(ج) وإذا افترضنا أن الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن يقوم أقنوم واحد بالعمل فقط، فما هو موقف الآخرين ؟إنهما يصبحان عاجزين أو عاطلين، ووجودهما لا فائدة منه ولا داعي لبقائهما، لأنهما لا يضيفان جديدًا للحقيقة الإلهية، ومن ثم فهما غير إلهين.

ثانيًا: إن اختلفت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة في خلق الكون أدى ذلك إلى ضياع العالم، ولكن الواقع يشهد بغير ذلك، فالعالم بكواكبه ونجومه وأنهاره وبقية معالمه بيِّن واضح، وبوجوده وجد أهل الثالوث، وهذا الوجود الذي يتصفون به دليل على عدم وجود أقانيم ثلاثة، وإلا لحكمنا، بأن العالم قد فني بسبب اختلاف هذه الأقانيم، هذا التخالف والتعارض الذي شهد به أهل الثالوث

(وذلك بمناسبة الحديث عن غفران خطيئة آدم، فقالوا: إن الله الأب الحاكم القاضي قد أصدر حكمه بالموت والهلاك والشقاء على آدم ونسله؛ وذلك لعصيانه، ولكن الابن لم يوافق على ذلك، فأصدر حكمًا بإلغائه وغفران الخطايا)[٥٣]. ويبدو أن الله الروح القدس قد انحاز إلى الابن رغم معارضته لأبيه. هذه الخلافات قد وقعت ـ وبها قد شهد أصحاب الثالوث ـ بين الابن والأب على مسألة الغفران فقط، فماذا عن هذه الأكوان؟ وصدق من قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥٤]

القضية الثانية:

وهي استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث في الإله الواحد، وهي من القضايا الشائكة التي جعلت الإنسانية تحكم على العقلية المسيحية بالبلادة والخمول، ولذلك نرى العقل المسيحي مازال يئن من وطأة هذه الأقوال، ويحس بالحرج المنطقي أمام هذه العقيدة العفنة. هذا وتنحصر زوايا البطلان والاستحالة لهذه العقيدة من وجهة نظرنا في الأمور التالية:

أولاً: إن هذه المقولة تنبه الإنسانية بأن المسيحية لا تؤمن بإله واحد، بل بثلاثة آلهة، وهذه وحدها هي خيبة أمل في العقيدة التي يظن أصحابها أنها تنتمي للمسيح عليه السلام، ولذلك تنبه الكثيرون منهم إلى خطورة هذه الحقيقة فقالوا على لسان القس بولس سباط: (إننا لا نؤمن بثلاثة آلهة بل نؤمن بأن الله جوهر واحد موصوف بصفات الكمال، وهي الأب والابن

(٥٣) الله واحد أم ثالوث ؟ص٦٥، محمد مجدي مرجان.
(٥٤) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

والروح القدس)[٥٥].

ونقول: لهؤلاء إن الجوهر لا يصح أن يطلق على الله تعالى، ولا يمكن أن يجمع ثلاثة أقانيم في ذات الله تعالى؛ لأن الجوهر كما قال الجويني: (ماهية إذا وجدت كانت لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائد على ذاته، وواجب الوجود وجوده عين ذاته وليس زائداً فلا يكون جوهراً)[٥٦]. ومن المغالطة البيّنة حينئذ القول بأن الله جوهر، وأيضًا القول بأن هذا الجوهر يضم هذه الأقانيم؛ لأن الجوهر له معنى قائم به، وخواصه الذاتية ليست معانيها مختلفة ولا اختصاصاتها، أما الأقانيم فهي بإقرار أصحابها مختلفة المعاني: فالأب له معنى والابن له معنى، والروح القدس له معنى، ولكل منهم اختصاص وعمل يختلف عن الآخر، إذن فلا علاقة بين الجوهر والأقانيم. ومع ذلك نرى أهل الثالوث يتمسكون باسم الجوهر حتى يجمعوا فيه أقانيمهم المختلفة ولذلك نسألهم:

هل الجوهر الجامع في اعتقادكم هو عين الثالوث أم لا؟

إن قلتم إنه عين الثالوث قلنا: إن هذا هو عين الجنون وسمة الخوار ووصمة عار لعقيدتكم؛ لأن هذا القول سيجمع نقيضين، خاصةً بعدما علمنا أن قساوستكم صرحوا بأن معنى الجوهر يختلف عن معنى الثالوث واختصاصه. والجمع بين النقيضين لم يكن أبدًا عن معنى الثالوث واختصاصه، والجمع بين النقيضين لم يكن أبدا من اتفاق العقلاء؛ لأنه سيخلق أمام قائله مشكلة وهي أن نفس المتعدد هو غير المتعدَد فيكون الشيء هو ولا هو. وإن قلتم بأنه ليس عينه قلنا: سيلَزمكم حينئذ أمران بسبب هذا

(٥٥) المشرع ص١٣، ١٤، القس بولس سباط.

(٥٦) كتاب الشامل ص ٥٧١، للجويني.

الجوهر المخالف وهما:

هل هو إله أم لا؟

أرى أن الشق الثاني مرفوض لديكم لأنكم لا تقولون به. فيبقى كونه إلهًا. حينئذ نقول: إن فرضكم بأن الأقانيم ثلاثة وأنه غيرها، فقد أصبحت الآلهة أربعة لا ثلاثة وهو خلاف المفروض، والقول به يحطم العقيدة المسيحية على رؤوس أصحابها، ولذلك تنبه الأكويني إلى هذه النقطة بالذات فنفى وجود أقانيم في الله قائلاً: (إن الأقنوم جوهر مفرد ذو طبيعة ناطقة فلو كان في الله أقانيم متكثرة لكان فيه جواهر متكثرة وهذا بدعة)[٥٧]. وسواء اعتقد الأكويني ذلك أم لا إلا أنه ينفي أن يطلق اسم الجوهر على الله ويبغي منع التعدد، ولكن القوم يصرون على جوهرية الواحد علمًا بأن الجوهر مرتبط بالعَرَض، وهما متحيزان ويحتاجان إلى حيزهما على الأقل، وينطبق هذا على الجوهر اللطيف.

بقيت نقطة أخيرة وهي تتضمن الأسئلة التالية: هل لديكم دليل واحد يقطع بأن الله جوهر يضم ثلاثة أقانيم؟هل ذلك لدى العقل يوجد أم عليه نص أم اتفق الإجماع على ذلك؟. ولنترك الإمام الجويني هو الذي يجيب عليهم فيقول: (لا حجة لكم في العقل فإن العقول لا تدل على إثبات اللغات . . . ولا يتوصل إليها بقضية العقل. والإجماع كذلك ليس حجة؛ لأنه لابد للإجماع من سند من العقل والنص لا سبيل لكم به، إذ ليس في كتابكم إثبات هذا الاسم لله تعالى)[٥٨]. إذن فما أكذب تلك القضية أن الله جوهر يضم ثلاثة أقانيم.

---

(٥٧) الخلاصة اللاهوتية ص ٣٧٣ - توما الاكويني.

(٥٨) كتاب الشامل ص ٥٧٢ للجويني.

ثانياً: قد يقول بعض أصحاب الثالوث إننا لا نقول بوجود آلهة ثلاثة، وإنما نقول إله واحد مركب من ثلاثة عناصر أو أقانيم، وهذا القول يلفظه أيضاً العقل في بداهة سريعة؛ لأن العقل لا يتصور إلهًا واحدًا مكونًا أو مركبًا من أجزاء أو عناصر، فالشيء لا يتم وجوده إلا بهذه الأجزاء، وهو أيضاً يفتقر إلى أجزاء وإلى علة تركب هذه الأجزاء والله سبحانه لا ينطبق عليه قول كهذا؛ لأن الشيء المركب محدد بحدود الأجزاء وبالتالي من الممكن رؤيته. والله تعالى لا يحده زمان ولا مكان ولم يره أحد بنص كتبكم، إذن فهو غير مركب، بل هو واحد وحدانية مطلقة. وقد أحسن أرسطو حين قال: (كل مركب صائر إلى الانحلال؛ لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطًا غير قابل للتجزئة)[٥٩].

ثالثاً: يرى الشيخ رحمة الله الهندي: أن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، أما الثلاثة فلها ثلث صحيح وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الواحد ثلث نفسه، والثلاثة، ثلث الواحد، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة وهذا محال)[٦٠]. والشيخ برأيه هذا يحطم القول بالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي، وهذا القول مازال النصارى يدورون حوله بلا حل؛ ذلك لأن الواحد الحقيقي هو الذي لا يقبل الانقسام بوجه من الوجوه، وهو في مقابل الواحد الاعتباري الذي هو كثرة في واحد، وهذا الواحد الاعتباري بالنسبة لله قد يطلقه بقية المشركين على الله تعالى، وهو أمر مرفوض لدى الإسلام الذي يمنع هذه الاعتبارية

(٥٩) الله واحد أم ثالوث؟ ص٦٨، د. محمد مجدي مرجان.
(٦٠) إظهار الحق ٣٣٥.

المركبة في الله تعالى فيقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦١]. وأحد هنا تخالف قوله واحد، ولذلك لو قال النصارى إننا نعبد إلهًا واحدًا قلنا لهم: لكنه ليس أحد، أي لا تركيب فيه بوجه من الوجوه.

ومع ذلك فقد أورد الدكتور صابر طعيمة قولاً قد يبدو غريبًا على النصارى فهو يقول: (ولو أن النصارى قالوا: إن إلههم واحد اعتباري وهو ثلاثة لما كان هناك نزاع في هذا المفهوم ويتوجه عليهم ما يتوجه به على المشركين من الاستدلالات الأخرى، لكنهم يُصرُّون على القول بالوحدة الحقيقية مع التثليث)[٦١]. ومحل الغرابة لدى غيرنا في قوله: إن الوحدة الاعتباريه لا نزاع لمفهومها، ولكننا نرى أن الرجل لا يريد إلا القول فقط حتى يناقشوا ولا تلفظ مقولتهم من أول وهلة وهو لم يغفل عن أن هذا القول لن يخرجهم من جماعة المشركين، وله مع هذا حق، فقول النصارى يفوق قول المشركين في الكفر، ولا يقبل العقل أن يورد عليه حججاً؛ لأنه عنه غريب، ولهذا شعر النصارى بهذا الحرج المنطقي، فأحالوا المشكلة برمتها إلى الإيمان والوجدان وبرغم الإيمان والوجدان، والشعور بقيت المشكلة بلا حل.

والخلاصة:

إن أصحاب الجمع بين التوحيد والتثليث قد عزلوا العقل عن الحكم عليهم، وهذا هو رأي الكنيسة المسيحية عبر القرون.

---

(٦١) سورة الإخلاص آية ١.

(٦١) الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٢٤٧، د. صابر طعيمة، ط بيروت.

وأقــول:

لقد أرحتم العقل وحسنًا فعلت الكنيسة؛ لأنها بهذا أراحت الناس من هم ثقيل، ورفعت عن كواهلهم هذا الحمل الذي تنوء به الجبال، ولكنها من جهة أخرى أساءت إساءة تربو على إحسانها حين جعلت أتباعها لا يرفعون وجوههم إلا بعقل موزع على هذه الأقانيم الثلاثة، وبذا ارتبك العقل المسيحي أمام قولة إثناسيوس الرسولي: (فالأب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، وكلهم هو الله)[٦٢]. وبذلك ظهر أمامنا ثلاثة آلهة تبرز برؤوسها والثلاثة معًا الله. والله يتفرق فيكون ثلاثة، ويجتمع فيكون إلهًا. أين العقل الذي يحتمل ذلك؟

ألا ليت هؤلاء عقلوا عقولهم حقًا ولم يطلقوا العنان لخيالهم.

*****

(٦٢) راجع أديان العالم ص ٣٠٠، ٣٠١ حبيب سعيد.